الشيخ خالد عبد الرحمن:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وسَيِّئَاتِ أَعْمالِنا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}.[الأحزاب:70-71]

أمَّا بعد:

فإذا كنّا سنتكلّم الليلة –إن شاء الله – عن إمامٍ جليل من أئمة أهل السُنّة، بل وصفه بعض أئمة الزمان بأنه مجدِّد علم الحديث في الأمة، ألا وهو الواصف لهُ بذلك الإمام ابن باز –رحمة الله عليه–

فإنّ من أجمع وأفضل ما وقفتُ عليه في وصف الإمام الألباني، هو ما وصفه به الإمام الفقيه، شيخ مشايخ أهل السنة، ألا وهو مفتي الديار السعودية، وهو الإمام الفقيه العلامة: محمد بن إبراهيم آل الشيخ –رحمة الله عليه–، فقد وصف الألباني بوصفٍ عظيم كما تجدونه في كتاب الإمام العلامة محمد بن إبراهيم وهو: (مجموع فتاوى العلامة محمد بن إبراهيم.)

فقد قال العلامة محمد بن إبراهيم يصف الألباني، قال: (وهو صاحب سُنّة، ونُصرةٍ للحق ومصادمةٍ لأهل الباطل)، هذه ثلاثةُ أوصاف يصف بها الإمام محمد بن إبراهيم شيخ مشايخ أهل السُنّة، شيخ الشيخين الإمامين: ابن باز وابن عثيمين .

وإذا استحضرنا وقت مقولة الإمام محمد بن إبراهيم هذه العبارة مع سنة وفاته، مع سنة حياة الألباني حين قال الإمام محمد بن إبراهيم هذه التزكية العظيمة، ستلحظ أمرًا عجيبًا، وهو أنّ الإمام محمد بن إبراهيم يصف الألباني بهذا، والألباني في عقد الخمسين أو فوق سن الخمسين بقليل أو دونها بقليل.

ثُمّ يعيش الألباني بعد وفاة الإمام محمد بن إبراهيم، بما يقرب من أربعين سنة بعد أن وصفه بهذه الأوصاف العظيمة الجليلة .

يقول: (وهو صاحب سُنّة ونُصرةٍ للحق ومصادمةٍ لأهل الباطل).

فإذا كانت هذه منزلة الألباني عند الإمام محمد بن إبراهيم، فحينئذٍ أقول:

الإمام الألباني هو أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي بن آدم الأُشقودري الألباني–رحمة الله عليه–، وهو ينتمي إلى تلك العائلة الألبانيّة التي ينتسبُ إليها بعض النّاس من المشتغلين بالحديث، وهي عائلة الأرناؤوط، فهو أرناؤوطي من ألبانيا، من اشقودرة وهي محافظة وعاصمة ألبانيا في ذاك الزمان.

والإمام الألباني–رحمه الله– من بلاد العجم من ألبانيا، ثمّ وُلد هناك–رحمة الله عليه–، ولما جاء حُكم بعض الحكّام هناك، وهو أحمد زوغو، وتولّى الحُكم في ألبانيا، وفعل أمورًا استدعت كثيرًا من النّاس أن يُهاجروا، وأن يخرجوا من تلك البلد، لما ضُيّق على أهل الإسلام وأهل السنة فيها.

وكان نوح وهو والد الإمام الألباني؛ كان من أهل تلك البلاد، فارتحل بولده الألباني وهو طفلٌ صغير إلى دمشق، ونشأ في دمشق الإمام الألباني–رحمه الله– وهو طفلٌ صغير، ودرس الابتدائية هناك، وعاش حياته في بلاد دمشق، وتتلمذ في أوّلِ أمرهِ في طفولته وبُكّر به في الطلب، فتتلمذ على والدهِ الحاجّ نوح، وكان مفتيًا لعلماء الأحناف، وكبيرًا من كبرائهم وجليلًا عندهم، من علماء الحنفيّة في دمشق.

فتعلّم الألبانيّ–رحمة الله عليه– على والده، وعلى بعض الأشياخ الذين كانوا في ذاك الزمان، حتى–رحمة الله عليه– يقول: أنّه انشغل قلبهُ وحُبّب إليهِ الحديث، وحُبّب إليه هذا العلم دون أن يوجهَهُ إليه أحد، وهذا من الغرائب، أن يُحبّب هذا العلم إلى ذاك الإمام في هذه السنّ المبكّرة، دون أن يوجهَهُ إليه أحد، وإنّما هو محضُ فضل الله– تبارك وتعالى– على هذا الإمام الجهبذ–رحمة الله عليه–.

ثمّ تعلّق قلب الشيخ–رحمة الله عليه–؛ بكُتب عقائد السلف، قال: (وكان كُلّ من حولي من الأشاعرة، ومن الصوفيّة، ولكنّ الله حبّب إليّ اعتقاد السلف؛ وحبّب إليّ كتب شيخ الإسلام، وحبّب إليّ علم الحديث).

ولما بلغ سنّ العشرين يقول: (ففاجأتُ بَني قومي وأهلي، بما لم يكونوا يعرفونه)، قال: (فبدأتُ أنكِرُ عليهم الصلاة في المساجد المقبورة، وكنت لا أصلّي في المسجد الأُمَوي؛ لما كانوا ينسبون إلى أنّ يحيى–عليه الصلاة والسلام– مدفونٌ في المسجد الأمَوي.

قال: (وانتشر عنّي ذلك.)

قال –رحمة الله عليه– : (حتى ضاق بي ذرعاً المشايخ في تلك الناحية، واستعظموا أن أمنع الناس من ناحية البيان الشرعي، من الصلاة في المسجد الأموي، بل وأمنعهم بالعلم من الصلاة في سائر المساجد المقبورة، وأنهى عن ذلك أشد النهي، واحتج عليهم بالأحاديث، وبأقوال الأئمة كالشافعي، وأحمد وغيرهم، حتى وصل الأمر إلى أن جاء أولئك الأشياخ إلى والدي، وكان مقدَّماً فيهم، وكان عالماً من علماء الأحناف، وشكى إليه ما يفعل ولده ) يقصد الألباني نفسه رحمة الله عليه.

قال: (و في ذات ليلة استدعاني والدي وراجعني في المسألة،– قال– فبينت له ما عندي وذكرت له الأدلة في هذا، وأنه لا يجوز بناء المساجد على القبور، ولا يجوز الصلاة في تلك المساجد).

يقول الألباني : (وتمخض عن هذه المسألة تأليفي لكتابي:( تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد)، وكان هذا من أوائل تأليفي، فدعاني الوالد، وكان قد علمني مهنة أتقوت بها، وهي مهنة تصليح الساعات)

قال: ( فلما راجعته مراراً دعاني ذات ليلة فقال لي: لك واحدة من اثنتين، إما الموافقة وإما المفارقة).

يعني إما أن توافقني على ما أريد منك من أن لا تتكلم في هذه المسائل، وأن لا تمنع وتحذر الناس من الصلاة في المساجد المقبورة، وإما المفارقة وإما أن تخرج من البيت، فقلت له : (أمهلني ثلاثاً حتى أتدبر وأفكر في أمري)

قال : (وكان جزاه الله خيراً، قد علمني مهنة تصليح الساعات)، قال: ( فبعد ثلاثة أيام، رجعت إلى الوالد، وقلت له : إذا كان لابد فالمفارقة إذاً)، قال : (ومن تلك الساعة خرجت من البيت واشتغلت بمهنة تصليح الساعات، وفتحت دكاناً صغيراً لأتقوت به على تلك المهنة)

قال: ( وكنت لا أجد سعةً من المال لأشتري الكتب، فكنت أذهب إلى مكتبة الظاهرية واستأجر الكتب، ولما أكثرتُ من التردد على المكتبة الظاهرية، اتفق معي المسؤولون في تلك المكتبة، أن أبيت في المكتبة، لما رأوني كثير الترداد إلى تلك المكتبة، حتى صار لي مكان محدَّد في المكتبة الظاهرية)

وهناك وقعت لهُ قصة الورقة الضائعة، حدثني الآن أخونا الدكتور خالد، أنه يريد أن يتكلم في الورقة الضائعة، فقلت له : لك ذلك، فأكِل قصة الورقة الضائعة إلى طلب فضيلة الشيخ خالد.

لكن أشير أن هذه الورقة التي ستسمعون قصتها من فضلة الشيخ الدكتور خالد، كانت سبباً أن يمر الألباني على جميع كتب الحديث في المكتبة الظاهرية، من مسانيد، ومجاميع، وأجزاء إلى غير ذلك، حتى كتب بيدِهِ وهو شابٌ حدث أربعين مجلداً بخط يده، أربعين مجلدًا جمع فيها الحديث، وهي التي تسمى ب ( الروض النضير).

فلما قيل للألباني – رحمه الله – لماذا لا تنشر كتابك ( الروض النضير)، مع ما فيه من الفوائد، وأنك تحيل عليه كثيرًا، وأنك ترجع إليه في تخريج الأحاديث، فلماذا لا تبثه ولا تنشره بين الناس؟

قال : (لأنني ألفته وجمعته في سن مبكرة، وإنما جمعته لنفسي، فلا أستطيع أن أبثه وأنشره حتى أراجعه، وإنما أستفيد منه، لكني لا أقدر أن أطبعه وأبثه لعامة الناس ).

إذا وقفنا على هذا الجزء اليسير من ابتداء حياة الألباني، فإننا نجد فيه الوصف الصادق، الذي صدق فيه الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ، حين قال، وهذا نصه بحروفه في مجموع الفتاوى محمد بن إبراهيم قال:( وهو صاحب سنة، ونصرةٍ للحق، ومصادمةٍ لأهل الباطل).

فوصفه العلامة الإمام محمد بن إبراهيم بهذه الأوصاف: ( صاحب سنة) .

وقد تعجبت حين وجدت أن تلميذَي الإمام محمد بن إبراهيم؛ وهو الإمام ابن باز، والإمام ابن عثيمين، حين سُئلا عن الألباني، قالا كلامًا من ضمنه، هذه العبارة التي قالها الإمام محمد بن إبراهيم .

فقال ابن باز: (وهو من أهل السنة، وصاحب اعتقادٍ صحيح، ويُنتفع بكتبه، وأنا ممن ينتفع بكتبه، والواجبُ كفُّ اللسانِ عن ذكره بسوء، والدعاء له بمزيد من الخير والتوفيق).

أما ابن عثيمين فيقول : (وهو صاحب سنة).

وهنا أنبه: ما معنى كلمة : (صاحب سنة)، عند العلماء ؟ ومتى تقال ؟

يقول الإمام البربهاري وغيره من أئمتنا بمعناه يقول :(ولا يقال للرجل أنه صاحب سنة حتى يجمع خصال السنة كلها)؛ حتى يكون صحيح الاعتقاد، وحتى يكون موافقًا لأصول أهل السنة كلها.

والمصادمة التي يصفها الإمام محمد بن إبراهيم للألباني يقول : (وهو صاحب سنة، ونصرةٍ للحق، ومصادمةٍ لأهل الباطل) .

فإن الشيخ صادم في حداثة سنه وهو في العشرين، بل دون العشرين، كان رجلاً صادم أهل البدع من الصوفية ، وصادم أهل الضَّلال والبدع من الخرافيين القبوريين ، ونصر دعوة أهل السنة في باب التوحيد؛ لاسيما في الآثار التي كانت حوله من الأباطيل من تعظيم القبور ، ومن الالتجاء إلى القبور، ومن الاستغاثة بالأموات.

فبكَّر به أمره حتى كان من أول كتاباته، ما وصفه محمد بن إبراهيم :( مصادمة أهل الباطل )، فألف كتابه الذي مازلنا نقرأه ونستفيد منه، وهو كتابه : (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد).

وهذه المصادمة هي أشدها حين تصادم أهل الباطل في اعتقادهم، وهناك فرقٌ بين أن يكون الرجل صاحب سنة، يقتصر على العمل بها، وبين أن يُصادم أهل الباطل، قد يعرف السنة، وقد يعمل بها في خاصة نفسه، ولكنه يجبُن ويضعُف عن المصادمة مع أهل الباطل، فكمال دين الرجل أن يعمل بالسنة في نفسه، وأن يدعُوَ إليها، وأن ينصر أهلها، وحينئذ لابد أن يصادم الباطل.

ولقد رتب العلامة محمد بن إبراهيم، كلمته على هذا النحو العظيم، الذي وفق إليه محمد بن إبراهيم – رحمة الله عليه– حين قال : (وهو صاحبُ سنة، ونصرةٍ للحق، ومصادمةٍ لأهل الباطل).

وننتقل بالكلمة إلى فضيلة الشيخ الدكتور خالد ضحوي نفع الله به.

الشيخ خالد بن ضحوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ – صلى الله عليه وسلم–، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد

لا شك أن الحديث عن إمام من أئمة أهل السنة والجماعة؛ حديث له أو ذو شجون، فالشيخ الألباني – رحمه الله تعالى– كما ذكر الشيخ خالد – حفظه الله – ؛ أنه وصفه أئمة السنة بأنه من المجددين لهذا الدين.

سُئل الشيخ ابن باز – رحمه الله تعالى — عن المجددين فذكر الشيخ الألباني – رحمه الله –، وسُئل غيره من العلماء عن المجددين فيذكرون الشيخ الألباني — رحمه الله تعالى– ، فسيرته — رحمه الله — مليئةٌ ببيان الحق، والذبِّ عنه، وبيان سنة النبي — صلى الله عليه وسلم –.

فواجه أهل البدع بشتى طرقهم، وشتى مذاهبهم، فمن حق هذا الإمام الجليل ألا نذكره إلا بالجميل، وأن نعرف قدره، وأن نستفيد من علمه، فلا نذكره إلا بخير، ونعتقد أن من ذكره بسوء فهو على غير السبيل، فهذا موقفنا منه ومن غيره من أئمة السنة، ومن رأيناه يقدح في الشيخ الألباني، فلنعلم أنه ليس بصاحب سنة، وهذا ينص عليه كما ينقله شيخنا الشيخ محمد بن هادي – حفظه الله – عن الشيخ حمود التويجري، مع ما جرى بينهما من مناظرات علمية، كان يقول : (لا يقدح ولا يطعن في الشيخ الألباني إلا صاحب هوى).

وسُئل الشيخ ابن باز – رحمه الله تعالى – عنه فقال: (ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالسنة من الشيخ الألباني) .

فهذه شهادة من إمامٍ جليل إلى إمام آخر، شهادة صدق، وشهادة حق، تدل على سعة علم الشيخ الألباني –رحمه الله–، وتدل على الاحترام المتبادل بين أئمة السنة، وأنهم لا يرضون بالقدح في غيرهم من أئمة السنة، ولا يرضون بالطعن فيهم.

فالشيخ الألباني –رحمه الله تعالى– نجد أن القطبيين، والتكفيريين، يطعنون فيه ونجد الإخوان المسلمين يطعنون فيه، ونجد الصوفية الخرافية، كما ذكر الشيخ أيضًا، يطعنون فيه، ونجد أيضًا من آخرهم الحدادية، فأصبحت هذه السمة سمة من سمات الحدادية، أنهم أول ما يبدؤون يطعنون في الألباني –رحمه الله تعالى– مباشرة، يحتقرونه، ويحتقرون علمه، ويبدؤون يبحثون عن أخطائه، في ظنهم وفي زعمهم أنها أخطاء، ولا شك أنه لا يسلم أحد من الخطأ، لكن معاملة الإمام المخطئ ليست كمعاملة أهل الأهواء، ومن جاء بالبدع والضلالات، فهؤلاء نحترمهم ونجلهم، ولا نرضى بالطعن فيهم، بل يذكر مشايخنا، يقول الشيخ محمد بن هادي –حفظه الله تعالى–: ( ليس من أحد من أهل الحديث إلا وهو عالة على الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى– )، من جاء بعده من علماء الحديث، أو من يدرس الحديث، أو ممن يحقق الحديث، تجده عالة على الشيخ الألباني وعلى كتب الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى–، فلا شك أن هؤلاء الذين يقدحون في الشيخ، هذه علامة بارزة وظاهرة أنهم ليسوا على هدى، وليسوا على طريق مستقيم.

إذا رأيت الرجل يطعن في أهل الأثر، كما يقول أبو زُرعة : (فاعلم أنه، أو من علامة أهل البدع الطعن في أهل الأثر)، وكما هي القاعدة عند السلف:( إذا رأيتم الرجل يغمز حمّاد بن سلمة فاتهمه على الإسلام)، وإذا، هكذا يذكرون أئمة السنة.

ونحن نقول أيضًا إذا رأيتم الرجل يطعن ويغمز في الشيخ الألباني فاعلموا أنه صاحب هوى وليس بصاحب سنة.

والشيخ الألباني –رحمه الله تعالى– ترك علمًا جمًّا، وترك كتبًا نافعة للمسلمين، وجدد علم الحديث، كما يشهد له علماء السنة، وإذا نظرنا في هذه القصة التي أشار إليها الشيخ والتي سنذكرها من كلام الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى– بنفسه، نجد أنه كيف وصل إلى هذه المرحلة؟ وكيف وصل إلى مرحلة التخريج والتضعيف، والتصحيح والتحسين؟

وألف هذه الكتب في تجديد علم الحديث، وتحقيق وتصحيح ما يضاف إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– من الصحيح، وإخراج الضعيف منه في السلسلة الصحيحة، والسلسلة الضعيفة، وغيرها من الكتب التي تعرفونها، كيف وصل إلى هذه المرحلة؟

هل وصلها عن طريق قراءة كتابٍ أو كتابين؟ هل وصلها كما يصفها بعض الناس الآن عن طريق الشاملة، أو عن طريق الجامع، أو عن طريق الكمبيوتر؟ مباشرة يذهب ويخرج الحديث إلى رجال، وهكذا، ثم يقول، و يأتي، ويستدرك على الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى–.

هذه القصة قصة جميلة عظيمة فيها فوائد كبيرة نقرؤها من كلام الشيخ –رحمه الله تعالى–، يقول رحمه الله، في قصته (الورقة الضائعة)، وهذا ذكره في كتاب له بعنوان: (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية)، يعني كيف ألف هذا الفهرس؟ وكيف أخرج الكتب وانتقاها من هذه المكتبة المليئة بجميع أنواع العلوم؟، مكتبة كبيرة، مخطوطات مرجع لكثير من المخطوطات الضائعة، وكثير من المخطوطات المفقودة، أشار إليها الشيخ –رحمه الله تعالى– في هذا الفهرس الجليل.

يقول –رحمه الله–: ( ولم يكن ليخطر في بالي، وضع مثل هذا الفهرس؛ لأنه ليس من اختصاصي، وليس عندي متسعٌ من الوقت ليساعدني عليه، ولكن الله –تبارك وتعالى– إذا أراد شيئًا، هيأ أسبابه، فقد ابتليت بمرض خفيف أصاب بصري منذ أكثر من اثني عشر عامًا، فنصحني الطبيب المختص بالراحة، وترك القراءة والكتابة، والعمل في المهنة التي هي،–كما أشار إليها الشيخ تصليح الساعات– مقدار ستة أشهر )، يعني قال له : استرح ستة أشهر.

ننظر ماذا فعل هذا الإمام الجليل؟ قال: (فعملت بنصيحته أول الأمر، فتركت ذلك نحو كله نحو أسبوعين، ثم أَخذَت نفسي تُراوِدني, وتزيّن لي أن أعمل شيئًا في هذه العُطلة المملة, عملًا لا يُنافي بزعمي نصيحته، عُطلة مملة، لأنه ابتعد عن العلم، ابتعد عن الكتب، ابتعد عن قراءة هذه الكتب، والاستفادة منها).

يقول:( فتذكرتُ رسالةً مخطوطة في المكتبة، اسمها (ذم الملاهي) للحافظ ابن أبي الدنيا، لم تُطبع فيما أعلم يومئذ، فقلتُ: ما المانِع من أن أُكلّف من ينسخها لي، وحتى يتم نسخها ويأتي وقت مقابلتها بالأصل يكون قد مضى زمنٌ لا بأس به من الراحة، فبإمكاني يومئذٍ مقابلتها، وهي لا تستدعي جُهدًا ينافي الوضع الصحي الذي أنا فيه، ثم أُحققها بعد ذلك على مهل، وأُخرّج أحاديثها، ثم نطبعها، وكل ذلك على فترات؛ لكي لا أشق على نفسي، فلما وصل الناسخ إلى منتصف هذه الرسالة، أبلغني أن فيها نقصًا، فأمرتُه أن يُتابع نسخها حتى ينتهي منها، ثم قابلتُها معه على الأصل، فتأكدتُ من النقص الذي أشار إليه، وأُقدّره بأربع صفحاتٍ في ورقة واحدة، في منتصف الكراس، فأخذتُ أُفكر فيها، وكيف يُمكنني العثور عليها، والرسالة محفوظة في مجلّد من المجلدات الموضوعة في المكتبة، تحت عنوان (مجاميع).

ومعلوم أن المجلد فيه كثير من الرسائل، قال:( وفي كل مجلد منها الغالب عديد من الرسائل والكتب مختلفة الخُطوط، والمواضيع، والورق، لونًا وقياسًا، فقلتُ في نفسي لعل هذه الورقة الضائعة قد خاطها المجلِّد سهوًا في مجلد آخر، من هذه المجلدات، فَرأيتُني مُندفِعًا، بكل رغبةٍ ونشاط، باحثًا عنها فيها)

نسي نصيحة الطبيب, لأنه أَخَذَهُ حب العلم، وحب القراءة، وأن هذا سبب من أسباب التي هيّأها الله –عز وجل– ليصل إلى هذه المرحلة من العلم.

قال: (فَرَأيتُني مُندفِعًا بكل رغبة، ونشاط، باحثًا عنها فيها على التسلسل، ونسيت أو تَناسَيْتُ نفسي، والوضع الصحي الذي أنا فيه، فإذا ما تذكرته، لم أُعدم ما أتعلل به من مثل القول بأن هذا البحث لا يُنافيه؛ لأنه لا يصحبه كتابة ولا قراءة مضنية) يعني يُسلي نفسه حتى يقرأ هذه الكتب.

(وما كِدت أتجاوز بعض المجلدات، حتى أخذ يسترعي انتباهي عناوين بعض الرسائل، والمؤلفات لمحدثين مشهورين، وحُفاظ معروفين، فأقف عندها باحثًا فيها، دارسًا إياها، فأتمنى لو أنها تُنسخ وتُحقق، ثم تُطبع، ولكن كنت أجدها في غالب الأحيان ناقصة الأطراف، والأجزاء، فأجد الساندون الأول مثلًا، ثم اندفع لتسجيلها عندي، وتابعتُ البحث عن الورقة الضائعة، ولكن عبثًا حتى انتهت مجلدات المجاميع)

كم تظنون أنها مُجلد؟ وكم عددها؟ وهو مريض في عينيه، وأوصاه الطبيب أن لا يقرأ، قال : (فقرأتُ مئة واثنين وخمسين مُجلدًا، بسبب هذه الورقة الضائعة، بَيد أني وجدتُني في أثناء المتابعة، أخذتُ أسجل في مسودتي عناوين) يعني يأخذ فوائد ( وبعض الكتب التي راقت لي وشجعني على ذلك، أنني عثرتُ على أثناء البحث فيها، على بعض النواقص التي كانت قبلُ من الصوارِف عن التسجيل) يعني جمع بعض الكتب الناقصة.

( ولما م أعثر على الورقة في المجلدات المذكورة، قُلتُ في نفسي لعلها خيطت خطأً في مجلدٍ من مجلدات كتب الحديث، والمسجلة في المكتبة تحت عنوان (حديث)، فأخذتُ أُقلبها مجلدًا مجلدًا، حتى انتهيتُ منها دون أن أقف عليها، ولكني سجلتُ أيضًا عندي ما شاء الله من المؤلفات والرسائل، وهكذا لم أزل أُعلِّل النفس للحصول على الورقة، فأنتقل في البحث عنها بين مجلدات المكتبة، ورسائلها من علمٍ إلى آخر، حتى أتيتُ على جميع المخطوطات المحفوظة في المكتبة، والبالغ عددها نحو عشرة آلاف مخطوط)

عشرة آلاف مخطوط، قال: ( دون أن أَحظى بهذه الورقة، ولكني )

وهذا جَلَدَ العلم، وجَلَد العلماء، نموذج عظيم من نماذج الجَلَد في طلب العلم، الآن الطبيب يقول : لا تقرأ مباشرة، يمكن الطبيب يعطيه شهر، هو يزيد ثلاث أشهر من عنده لا يَقرأ، يُريد الراحة.

يقول الشيخ : (ولكني لم أيأس بعدُ، فهناك ما يُعرف بالدَّشت، وهو عبارة عن مكدسات من الأوراق، والكراريس المتنوعة التي يُعرف أصلها، يقول فأخذتُ في البحث فيها، بدقة وعناية ولكن دون جدوى، وحينئذٍ يئستُ من الورقة، ولكن نظرت فوجدتُ أن الله –عز وجل– فتح لي من ورائها بابًا عظيمًا من العلم، طالما كنتُ غافِلًا عنه كغيري وهو أن في المكتبة الظاهرية، كنوزًا من الكتب، والرسائل، في مختلف العلوم النافعة، التي خلَّفها لنا أجدادنا –رحمهم الله–، وفيها من نوادر المخطوطات، التي قد لا توجد في غيرها من المكتبات العالمية، مما لم يطبع بعد، فلما تبين لي ذلك واستحكم في قلبي استأنفت).

هل اكتفى بالقراءة الأولى؟ قال:

( فاستأنفت دراسة مخطوطات المكتبة، كلها من أولها إلى آخرها للمرة الثانية، في ضوء تجربتي السابقة، التي سجلت فيها ما انتقيت فيه فقط من الكتب، فأخذت أسجل الآن كل ما يتعلق بعلم الحديث، منها مما

يفيدني في تخصصي، لا أترك شاردة، ولا واردة، إلا سجلته، حتى ولو كانت ورقة واحدة من كتابٍ أو جزءٍ مجهول الهوية، وكأن الله –تبارك وتعالى– ، كان يعدني بعد ذلك للمرحلة الثالثة والأخيرة).

لم يكتفي بالقراءة الأولى، ولا بالقراءة الثانية، انظر إلى القراءة الثالثة:

(وهي دراسة هذه الكتب، دراسة دقيقة، واستخراج ما فيها من الحديث النبوي، مع أسانيده، وطرقه، وغير ذلك من الفوائد. فإني كنت في أثناء المرحلة الثانية، التقط نتفًا من هذه الفوائد، التي كنتُ أعثر عليها عفواً، فما كدت أن أنتهي منها، حتى تشبعت بضرورة دراستها كتابًا كتابًا ، وجزءاً جزءاً؛ ولذلك فقد شمرت عن ساعد الجد، واستأنفت الدراسة للمرة الثالثة، لا أدع صحيفةً إلا تصفحتها، ولا ورقة شاردة إلا قرأتها، واستخرجت منها ما أعثر عليه من فائدة عِلمية، وحديثٍ نبوي شريف، فتجمع عندي بها نحو أربعين مجلداً)

كما أشار الشيخ إلى ذلك، (في كل مجلد نحو أربعمائة ورقة، في كل ورقةٍ حديثٌ واحد، معزواً إلى جميع المصادر التي وجدته فيها مع أسانيده وطرقه.ورتبت الأحاديث فيها على حروف المعجم، ومن هذه المجلدات أغذي كل مؤلفاتي ومشاريعي العلمية، الأمر الذي يساعدني على التحقيق العلمي، الذي لا يتيسر لأكثر أهل العلم، لا سيما في هذا الزمان، الذي قنعوا فيه بالرجوع إلى بعض المختصرات في علم الحديث، وغيره من المطبوعات! فهذه الثروة الحديثية الضخمة التي توفرت عندي؛ ما كنت لأحصل عليها لو لم ييسر الله لي هذه الدراسة، بحثاً عن الورقة الضائعة! فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات).

فبعد ذلك نعرف قيمة تصحيح الشيخ، ونعرف قيمة تضعيف الشيخ، ونعرف منزلة العلم الذي يقوله الشيخ، كيف أنه خرج إلى هذا العلم، أو جاء بهذه الكتب، بعد هذه القراءة المضنية، و المتعبة، والشاقة، مجلدات كثيرة، وعدد من المجلدات، يقرؤها، ويستنبط منها الأحاديث، ويجمع طرقها، ومسانيدها، ثم يأتي من يأتي من الجهلاء، ومن صغار السن، ويستدركون على الشيخ، بجهلهم، وليس بعلم، ويحتقرون من الشيخ، ومن علمه.

فهذه نبذة أو اشارة إلى الورقة الضائعة، التي فيها فوائد جليلة، نسأل الله –عز وجل– أن يرحم الشيخ، وأن يسكنه في عليين، وأن ييسر لنا العلم النافع، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الشيخ فواز العوضي:

جزى الله الشيخ خالد عبد الرحمن، والشيخ خالد ضحوي، على ما قدما من ترجمة الشيخ الألباني –رحمة الله عليه–.

و من باب ذكر هذا الإمام، وفضل هذا الإمام، بعد الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد.

فإن هذا الإمام حقيقةً ظهر في زمن قد انقطع قبله من القرون، أن يظهر رجل كمهتم بأحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– وذكرها، وتخريجها، وتميزها بين ما يثبت عن النبي –صل الله عليه وسلم– وما لا يثبت، وكما تعلمون أن القرون التي كانت بين الحافظ ابن حجر –رحمه الله تعالى– وبين ظهور الإمام الألباني — رحمه لله تعالى– قرون كثيره ومئات السنوات، وبين هذه القرون، لم يظهر رجل نصر سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– نصرًا مؤزرًا في التميز، والتخريج بين ما يصح وما لا يصح، مثل الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى–.

وطبعًا هذا الامر هو ما ذكره الله –عز وجل– على لسان نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– وهو العهد الذي عهده الله –عز وجل– لينصر هذا الدين بالطائفة أهل الحق كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ( لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ))

وهم أصحاب الحديث، كما قال الإمام أحمد، والإمام البخاري، والإمام ابن مَعين، وكذلك علي بن المديني، و غير واحد من علماء الحديث، قال : هم أصحاب الحديث.

وأصحاب الحديث جاءت آثار عظيمه جدًا في وصفهم، كما قال سفيان الثوري –رحمه الله تعالى–:( الملائكة حُراس السماء وأهل الحديث حُراس الارض).

فحُراس الأرض، هم أصحاب الحديث، ولأنهم نصروا سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وهم أعلم الناس بالسنة، وأعلم الناس بالرد على أهل البدع والأهواء، لأن أهل البدع والأهواء إذا استدلوا، إنما يستدلوا بأمور

عقلية، وهذا فيها الخلل، ويحصل فيها الخلل، وإما أن يستدلوا بنصوصٍ واردةٍ عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فيتصدى لها أهل الحديث، ومنهم الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى–، له جوانب عظيمة جدًا، وله مباحث كثيرة جدًا، ولكن نركِّز على الطوائف التي ردَّ عليها الشيخ الألباني –رحمة الله عليه–.

فظهر كما ذكر الشيخ خالد عبدالرحمن، عن رده لأهل التصوف، وعباد القبور، وغير ذلك، وكذلك رده على الأشاعرة، وكذلك رده على القرآنيين، أتباع أحمد ميرزا، وغير طائفةٍ من هذه الطوائف، فيردُّ عليها بالسُنن الواردة، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–

وكذلك عاش في زمنٍ نشأت فيها تلك الجماعات، جماعة الإخوان، وجماعة التراث، وجماعة التبليغ، فما يستدلون بدليلٍ إلا وتجد له تعليق على هذه الأحاديث، التي هم يستدلون بها، ويدحضُ تلك الشبه.

وطبعًا سنن النبي –صلى الله عليه وسلم– محفوظة، ولكن دخل أهل البدع في تأويلها وفي تحريفها، وفي تفسيرها على غير التفسير الذي أراده الله –عز وجل–، أو أراده النبي –صلى الله عليه وسلم–، فمن تلك الأحاديث التي استدل بها تلك الجماعات، في خدمة مذهبهم، مثل القول الذي ينسب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– في احتجاج بجواز المظاهرات، أو بجواز الخروج على الحاكم، بحادثةٍ حصلت لحمزة وعمر –رضي الله عنهما–، فعلق الشيخ الألباني –رحمة الله عليه–على هذا الحديث في السلسلة الضعيفة، على أن هذا الحديث ليس فيه دلالة فيما يستند إليه الجماعات، كالإخوان وغيرهم، فإن أولًا: ليس فيه دلالة.

وثانيًا: ان هذا الحديث ضعيف.

فانظر كيف يستدلون بأحاديث، هم يبنون عليها قاعدتهم واعتقادهم الباطل، كذلك حينما استدلوا بحديث قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : ((مَن لَمْ يهتَمَّ بأمرِ المسلِمينَ فليس منهم))، ويستدلون به، بأن لابد أن يتعاون الناس، لابد أن، فحرفوا هذا المعنى في خدمة مذهبهم، وخدمة تلك الجماعات، وغير ذلك فبين الشيخ الألباني – رحمة الله عليه – في تلك السلسة ، السلسة الضعيفة، التي قد اشتملت على أكثر من أربعة ألاف حديث، أو سبعة ألاف حديث، كذلك فبين ضعف هذا الحديث، وبين على أنه في طرقه أشدها على أنه موضوع، ومكذوب على النبي – صلى الله عليه وسلم –

كذلك تصدى الشيخ الألباني – رحمة الله عليه – لذلك الحديث العظيم، الذي هو عند أهل السنة من أعظم الأحاديث، في رد تلك على الأهواء، وعلى اعتقاداتهم الباطلة وهو حديث معاوية – رضي الله عنه

– ((افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقةً , وافترقتِ النصارَى على اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً , وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، قيل : من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : الْجَمَاعَةُ))، وفي رواية: ((مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابِي)).

فظهر ذاك الكوثري واستدل بحديثٍ موضوع ومكذوب على النبي – صل الله عليه وسلم – في أن تلك الجماعات كلها، يعني تلك الجماعات، وتلك الفرق، والطوائف الموجودة في الإسلام، كلها جائزة، فاستدل بحديثٍ موضوعٍ، ومكذوب وهو قول الذي ينسب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((افترقت أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحده وهم الزنادقة )).

فبين الشيخ الألباني – رحمة الله عليه – على أن الحديث موضوع، وكذلك معناه لا يصح، فكيف تلك الطوائف، وتلك الجماعات، على خيرٍ، وعلى صلاحٍ، وعلى حقٍ، والحق واحد، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ذمَّ التفرق، وذمَّ الاختلاف، فإن هذا الحديث:

أولًا : ضعيف موضوع.

ثم مصادم للأحاديث الواردة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذم الافتراق، وذم الابتداع، وذم تعدد الجماعات، وغير ذلك من المنتسبة للإسلام، على طرق بدعية، وغير ذلك، وطبعًا من باب أولى قول الله – عز وجل- : ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الأنعام 32 ].

فالمقصود والشاهد، أن الشيخ الألباني – رحمه الله تعالى – ، رفعه الله – عز وجل – بنصرته لسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذه النصرة خاصةً، كما قال النبي – صل الله عليه وسلم – لتلك الطائفة، وهم أصحاب الحديث، كما فسرها من فسرها من علمائنا كالإمام أحمد، ومن تقدم ذكرهم.

فالمقصود والشاهد، على أن الشيخ الألباني – رحمة الله عليه –، ألف تلك الكتب، وصنف تلك المصنفات، التي يعجز عنها طوائف من الناس، وغيرهم، وخدمته للسنة والاعتقاد، كتحقيقه للسنة لابن أبي العاصم، والإيمان لابن أبي شيبة، وكذلك الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، وغير ذلك، وكذلك نسخه للنسخة المخطوطة، وهي التي أول ما ظهرت، أصول السنة لإمام أحمد نسخها بيده – رحمة الله عليه – من المكتبة الظاهرية .

فهذا المقصود، ذكر هذا الجانب الذي وُصف فيه الشيخ الألباني – رحمة الله عليه – وكيف صدَّ تلك البدع بالسنن الواردة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهذا حال أهل الحديث، فإنهم إذا اعتصموا بالسنة، فالله – عز وجل – ينصرهم، لكن إذا من ابتعد عن السنة، والسنن الواردة عن النبي – صلى الله عليه وسلم، – فيخذله الله – عز وجل – كما خذل أهل البدع.

لذلك أختم هذا الكلام، بكلمة قالها الإمام أحمد بن سنان، وذكر ذلك الخطيب في شرف أصحاب الحديث : (ما من مبتدعٍ يبتدع بدعةً، إلا وهو يبغض أهل الحديث وما ابتدع الرجل بدعةً، إلا ونُزعت حلاوة الحديث من قلبه.)

وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الشيخ خالد عبد الرحمن: والآن -إن شاء الله- الكلمة لفضيلة الشيخ الذي أسميه :نجم اليمن -نفع الله به- أبو العباس وفقه الله وسدده .

الشيخ عادل منصور: السلام عليكم، الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم وبارك، على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وجزاكم الله خيرًا على التهيئة والإعداد لهذا اللقاء، وأدخل فيما أريد أن أتحدث فيه حفاظًا على دقائقي، حتى لا تذهب علي، وأدعو لكم جميعًا بظاهر الغيب بالتوفيق والسداد والقَبول.

أيها الأخوة استمعنا للمشايخ الفضلاء-حفظهم الله- وهم يتحدثون، عن بعض الجوانب المشرقة، وبعض النقاط المهمة، من حياة الإمام الألباني -رحمه الله تعالى- وجهاده.

الجهاد القائم به -رحمه الله تعالى- هو أعظم الجهادين، وهو جهاد الحجة، وجهاد البرهان، وجهاد البينة، الذي قال الله -تبارك وتعالى- في كتابه الكريم، قبل أن يشرع على أمته الجهاد، بالسلاح والسنان، قال

تعالى في حقِّ كتابه الكريم:{ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان:52]، إنه الجهاد الذي به يكشف الحق، ويُبينه ويُبرزه، ويكشف الوجه القبيح للباطل، ويُبين أنه قائمٌ على أرض رخوةٍ، ومبنيٌ على جُرفٍ هار.

ولا شك أن الحديث عن مجدد، من أمثال هذا الإمام، الذي يستحق أن يُقال عنه، من قرونٍ لم يأتِ في الحديث مثله –رحمه الله–، بل قد قيل: إنه بعد الحافظ ابن حجر، وبعضهم يُضيف الأسيوطي، أنه لم يأتِ في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومعرفته، والجهد والاجتهاد في جمعه، ومعرفة طرقه، من المخطوط والمطبوع، مثل الإمام الألباني –رحمه الله تعالى–.

وهناك أمورٌ في حياته، التي امتدت إلى ما يربو على الخمسة والثمانين عامًا، نحتاج أن نقف عندها وقفات تأمل، ولكني أقول : إن اختيار، قبل أن أبدأ في ذكر بعض هذه النقاط، إنَّ من توفيق الله، أن يختار الأخوة القائمون على هذه اللقاءات، الطيبة، الدعوية السلفية، أن يختاروا مثل هذين الإمامين، ولئن تُعرِّض في لقاء الأمس، إلى شيخ الإسلام وجهاده، فإن التشابه كبيرٌ، وكبيرٌ جدًا، بين هذين الإمامين، وبين الذين وقفوا أمامه وأمام دعوته.

فابن تيمية خرج فارًا من التتر، من حرَّان، واستقر به الأمر في الشام مع والده، والألباني خرج فارًا مع والده من ألبانيا، واستقر به القرار في الشام، في أرض دمشق، وهكذا بدءا صراعهما مع أهل الباطل، حتى لحقا بربهما –تبارك وتعالى–، ومن تأمل جوانب الشبه يجدها بارزةً واضحة بين هذين الإمامين –رحمهما الله تعالى–، وحتى الفِرق، يوم تحدثنا بالأمس عن الفِرق التي تنالُ من شيخ الإسلام بن تيمية، وبسطنا بعض الشيء ، حتى عن الحدَّادية، اليوم يبرز الألباني في جهاده، واجتهاده، وإمامته للسنة، ويبرز أقزام الحدادية بوجههم الكالح، وأظافرهم الدموية، وحقدهم الدفين، أيضاً ليريدوا أن يخمشوا في صورته الحسنة عند الأمة، وأن يُزعزعوا ثقة الأمة بعلمه، وأن يطعنوا ويجرحوا في اعتقاده، وفي منهجه، وفي الطريقة التي يسير عليها .

أيها الإخوة :جميعاً الحاضرون، والمستمعون لهذه الكلمة، إنَّ مما يبرز ويلوحُ لكل ناظر في سيرة هذا الإمام، مع تجديده وتمييزه في الأحاديث، كما ذكر المشايخ الكرام، أنه عُنِيَّ عنايةً فائقةً بآثار الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–، تصحيحاً، وتضعيفاً، وتمييزاً بين ما يثبت وما لا يثبت، واستناداً إليها في فهم نصوص الكتاب والسنة، فكان في هذا فارس ميدانه، وإمام عصره وأوانه، في إحياء الرجوع إلى آثار الصحابة،

والدندنة حول هذه الضميمة، التي لابد أن تُضمَّ إلى الكتاب والسنة، وهو أن يكون على فهم سلف هذه الأمة، من الصحابة والتَّابعين وتابعيهم بإحسان .

إنه بهذا الفعل، أراد أن يُعيد من وفقَّه الله، واستجاب لدعوته، يعيد الأمور إلى نِصابها، ,وأن يرُدَّ الأمة إلى أهل الاقتداء، إلى من هم أهلٌ من يُقتدى بهم في الحقيقة، في فهم الدين والعمل به علماً، وعملاً، وهم الصحابة، فلا غرو أن يبتدئ الإمام أحمد أصول السنة بقوله : (أصول السنة عندنا، التمسك بما كان عليه أصحاب النبيِّ –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– والاقتداءُ بهم).

وقبل أن تسلك أو أن تذهب إلى التمسك والاقتداء، لابد أن يسبقها مرحلةٌ هيَّ أهم، وهيَّ مرحلةُ التمييز، والتنقية، والتصفية، بين ما يثبت عنهم، وما لا يثبت عنهم؛ ولهذا كان –رحمه الله–، كما في كتابه : (الرَّد المفحم)، يقول معجباً، مبدياً إعجابه الشديد، بكلمةٍ عظيمةٍ لشيخ الإسلام، يقول : (كلمة نفيسة لشيخ الإسلام ابن تيمية، فلا أعلم أحداً يعني سبكها سبكه، ونطق بها كنُطقه قال –رحمه الله تعالى – :(إنَّ المنقول عن السلف والعلماء، يحتاج إلى معرفةٍ بثبوت لفظه، ومعرفةٍ بمعناه، كما يحتاجُ إلى ذلك، المنقول عن الله ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ).

إذن فهذا أمرٌ بارز في دعوته، وأصلٌ أصيلٌ في تجديده، عانى من أجله ما عانى، ولاقى من أجله ما لاقى، وسلسلته التي ردَّ بها على بعض المتعصبة، ممن وقف في وجه السنة التي دعا إلى إحيائها، سمَّاها : (تسديد الإصابة إلى من زعم نُصرة الخلفاء الراشدين والصحابة)، فإنهم فيما دعوا إليه في تقرير تلك النتائج، بل زعموا أنهم يتبعون الصحابة، فأبان لهم أولاً ما يثبتُ عن الصحابة، وما لم يثبت، ثم دعاهم إلى اتباع ما ثبت إن كانوا صادقين وأنى لهم ذلك .

المعلم الثاني: أو الأمر الثاني، الذي يظهر لكم في تجديده وسيرته ,والحقيقة أنَّ المقارنة الحسابية العمرية التي ابتدأ بها أخونا الكبير المفضال الشيخ أبو محمد خالد بن عبد الرحمن بن زكي آل جاد –وفَّقه الله– بين الكلمة، التي قالها محمد بن إبراهيم، والسن التي كان فيها الألباني، ما يُذكرني ذلك، بالمقارنة التي قيلت – وإن كُنَّا نعلم الفرق بين الصحابة والمُشابهة لا يلزم أن تكون من كل وجه–، لما قال عبد الله بن مسعود، في عبد الله بن عباس : (إنه تُرجمان القرآن)، وكم كان بِحسب العُلماء، كم كان سِّن ابنُ عباسٍ عندَ هذه المقولة، واسْتدلُّوا بها على أنَّه كم ازداد علمًا بعدها؛ لأنَّه عاشَ عمرًا بعدها، وتُوفِّي ابن مسعودٍ مبَكِرًا، ولهذا لم يُعد العَّبادِلة الأربَعة لتقدُّم وفاتِه — رضي الله عنهُم أجمعين —.

فنَقولُ كم أفاد واسْتَفاد، وكم نصر السُّنه في مواطِن، وكم نصَر الحق في مواطِن، فإذًا هذِه المقارَنةُ الحِّسابيَّة، تدلُّكم على أن الأمر كما قال ربنا، أنَّه فَضلٌ منه، كما أخبرَ ربُّنا في مواطِنَ في عدة آيات، أن {ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ }[الجمعة:4]، {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ}[النساء:54]

لقدْ ابْتُلي الإمام الألبانيِّ – رحمه الله – ، وهذا هو الأمر الثالِث : بِنوعينِ وإن شِئْتَ قلتَ ثلاثة، بنوْعين وإن شِئتَ قُلت ثلاثة، من المعْترضينَ على دَعوتِه والرَّادين لها، والمشوِّشينَ عليْها، والمشغِّبينَ عليها:

منهُم أهلُ البِدع والأهواء بِشتى أصنافِهم، وطَرائِقهم ومللهم ونِحلِهم.

ومنهُم أناس يَنتَسِبون للسُّنة، ولَكِّنهُم يصُّفون صفوفَهم مع أهلِ الأهواء، شَعروا أو لم يَشْعروا، يَضعون أنفُسهُم في خَندَقِ أهلِ الأهواء، أمامَ إمامٍ جدَّد الله بِه الملَّة، ونصَر الله بِه الشَّريعةَ والسُّنه، هذا الصِّنف هُم أقْسامٌ أيضا :

إمَّا أنَّهم قومٌ أكلَ الحَّسدَ قلوبَهُم، فرأوا ما بَسطَهُ الله لهذا الإمام في البَّسيطَة من القول، والرُّجوع إلى عِلمِه، والاسْتِفادَة من كُتُبه، حتى قالَ أهلُ العِّلم كشيخنا الوَّادعيَّ – رحمه الله –: ( مكْتبةٌ ليسَ فيهِ كِتابٌ للألباني – رحمه الله – مكْتبةٌ فقيرة، فإنَّه يَنبَغي لطالِب العِّلم أن لاَ تخلو مكْتبَتُه من كُتب الألبانيِّ كلِّها).

لقدْ وَضَع الله لهُ القبُول، فَمنْ يَقِف أمامَ هذا القَّبول، إنَّ الأمرَ مشاهَد للأعيانِ ولأهلَ الإنْصاف، صنفٌ حسدوهُ على ما آتاهُ الله من فَضلِه، ولَا نجِدُ غضاضَةً أن نقولَ ذلِك.

وصِنفٌ أرادوا أن يظْهروا، هذا النَّوع الثاني من القِسمِّ الثَّاني، أرادوا أن يَظهَروا على ظَهرِه، وأن يَبرزوا على أكتافِه، فاشْتغَلوا بتعقُّباتٍ عليه، وردودٍ عليه، حتى يُقال : فُلانٌ قد ردَّ على الألباني، ليسَ الألبانيُّ عندَنا بِمعصوم، ليسَ الألبانيُّ لا عندَنا ولا عِند شُيوخنا بِمعصوم، ولسْنا رافِضةً ندَّعي العِصمة لأحدٍ من عُلمائِنا، لا في قوْلِه ولا في عَملِه، ولَكِّن التقصُّد في تَتبعِ إمام، جعلَ الله لهُ القبول، وجَعلهُ الله إمامًا للسُّنة، هذا تتبُّعٌ غيرُ مرضيٍّ، وردُه ليسَ من التَّعصب في شيء، ردُّ هذا التَّتبع والتَّعقُّب ليس من التَّعصبِ للرِّجال في شيء لمن وفَّقهُ الله – تبارك وتعالى –، وجاهَد نفْسهُ وأخلصَ لِربِّه، ووقَف وقْفةَ محاسبةٍ بيْنه وبين الله تعالى.

ولقد كانَ شيْخُنا الوادعيُّ في بادئ أمرِه ربَّما قدَّم لبعض الطَّلبة، الذين ينْتقِدون الشيخ ويُفردون نقْده في أحاديث، ثمَّ أعلنها من على كُرسيِّه : (لا يأتيني طالِبٌ ببَحثٍ يتَعقبُ الشَّيخ الألباني فلن أقَدم له، إنَّ الألبانيُّ اليومَ علمٌ على السُّنه، ومن كانَ يَبحثُ بحثًا فإني أنصحُ الطلَّبة ألا يتَتبعوا الشَّيخ في ذلِك تتبعا، ولكِن من بحث حديثًا، في كِتابٍ، أو مسألةٍ، فتعرض للبحثِ، فوجَد أن الحديثَ يراهُ رأيٌّ يخالفُ الشيخ، في تصحيحه أو تَحْسينِه، أو تضعيفِه، فليُبدي رأيَه دونَ أن يتَعرَّض لشَّيخ)

أعلنَها أمام آلافٍ من تَلامذَتِه، ناسِخًا ومبيِّنًا أن ما تقدَّم منهُ من تقْديم، لبعضِ البُحوث الفَّرديَّة، أمرٌ يرْجِع عنهُ الشيخُ –رحمه الله تعالى-.

إن هذه هي طريقةُ أهلِ العلم، ليسَ من التَّعصبِ للرِّجال، أن يُقال: اعرفوا للأئِمة أقدارهُم، ولقدْ ثَبتَ عندي بِشهادَة من أثقُ بِه، أن محمود الحَّداد، أول ما بَدأ في المدينَة وكان في مجْلسٍ بحضورِ ذنبٍ من أذنابِه في جدَّه، وهو اليَّوم يُعنى بِقراءة كتُب أهل السُّنه دسًا للسُّم في حواشيها وفي فهارِسِها، فإذا بِه أول ما بدأ يقول: الألباني له أوهام، هكذا بدأ في المدينة،( له أوهام)، نعم له أوهام، كلمة حق، ولكن ما وراء ذلك؟؟

لقد ابتدأوا أول ما بدأوا بالطعن في الألباني – رحمة الله عليه-

ثمة أمرٌ آخر، يظهر جليًا في سيرته، وفي حياته – رحمه الله تعالى- الألباني – رحمه الله – استطاع أن يجمع ما عليه أئمة الحديث، بين مصادمة الخروج على ولاة الأمر، ومحاربة الغلو في التكفير، والنزعة الخارجية في هذا العصر، وله في ذلك من الفتاوى والجهاد، بالقلم واللسان، ما هو واضحٌ جلي فيمن تتبَّع، أو نظر في كتبه أدنى نظرة، فدفع سبب ذلك،

فكان ثمن ذلك أن اتُّهم من التكفيريين، وإخوانهم الحدادية، بأنه مُرجئ؛ لأنه يشترط إقامة الحجة، على من وقع في مكفَّرٍ عند تنزيل حكم معين عليه، ولأنه وقف وقفة صلبة أمام الذين يُكفرون الحكام ويُثيرون الشعوب للثورة عليهم، فاتُّهِم من أجل هذين الأمرين بأنه من المرجئة وحاشاه –رحمه الله-.

وفعلًا كما قاله ابن عثيمين –رحمة الله عليه- وكما قاله غيره من أهل العلم: "لا يصفونه بالإرجاء إلا لأنهم يريدون أن يُكفروا الناس ، فكل عالم لا يوافقهم على مسلكهم يرمونه بهذه الفرية"

أقول: استطاع أن يجمع بين هذه الحرب الضروس، لهؤلاء الخوارج الفكريين والعمليين، ويتعقب أحداثهم، ويتعقب جرائمهم، كما فعل في كتبه ردًا على حادثة جُهيمان، وكما فعل في كتبه ردًا على أحداث الجزائر الدموية، وكما نبّه على خطورة فِكر الثوار في المنطقة العربية كلها، وهو يردُّ كل ذلك، وهو ثابتٌ، رابط الجأش، لكنه مع ذلك، لم ينزلق، ولم يتكسب بهذا الاعتقاد، وهذا المنهج، فلم تره خراجًا ولّاجا، عند فلان، أو فلان من الولاة، أو الأمراء، أو المسؤولين، لغير مقصد شرعي، يتبَّع هذه الدعوة الصادقة، ويحارب الخروج، وهو تحت الإقامة الجبرية، لا يزوره إلا الشخص والشخصان، والرجل والرجلان، والثلاثة، ولا يُسمح بأكثر من ذلك، بقي تحت هذه الإقامة سنين عددا، فلم يكن يدعو إلى هذا المنهج الحق، في باب التعامل مع السلطان، ليتكسّب بذلك، ولينال بذلك مصالح، خلافًا لمن زعم الانتساب إليه، فأراد أن يتأكّل، وأن يتربّع على حطام الدنيا، بهذا الأصل الأصيل، ألا وهو السمع والطاعة، والموقف الشرعي من أهل الولاية، إذًا استطاع أن يجمع، كما جمع أئمة الحديث من قبله، بين تقرير هذا الأصل، بعدم الخروج، وبين صون نفسه من أن يُلوّثها بالدنيا وأهلها.

إنه –رحمه الله تعالى– كذلك جمع، –رحمة الله عليه– في تجديده، ونبّه الناس، على أنه لا يقول بمسألةٍ لا سلف له بها، كم مسألة فقهية كان الشيخ يقرِّر ويقول: ( لو أعلمُ لي فيها سلفًا لقلتُ فيها كذا وكذا)، ممتثلًا قول الإمام أبي عبدالله المبجّل إمام أهل السُّنة: "لا تقولن بقولٍ ليس لك فيه إمام" .

ولا يُشوّش على ذهنك، ما ذُكِر من مسألة الذهب المحلّق، فإنه ما قال بها إلا لما ظنه أن له سلفًا من ابن الزبير وغيره، ولو يعلم أنه لا سلف له، فنكاد نجزم بل ونحلف على ذلك، أنه لا يقولُ بهذا القول، فظن أن له سلفا.

فإذًا لا بُدّ أن تعلم أن هذا الأصل المقرر يتفق عليه علماء السُّنة، وما أجمل ما قاله العلامة محمد أمان في كتابه: "الصفات الإلهية" في الصفحة الخمسمائة لما تحدّث عن معنى حديث أبي هريرة : (( إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))، وذكر معنى في إحصائها، ثم قال: ( ولو أعلم أن لي سلفًا في هذا القول لقلتُ به)، وهكذا أبرز الإمام في مواطن عدة من كتبه، كما في مناسك الحج، وكما في غيره، أنه لو يعلم أن له سلفًا لقال به.

إن هذا الإمام –رحمه الله تعالى– في دعوته إلى السُّنة، كان محنة يُمتحن بها أهل الأهواء بأصنافهم، وإني لأذكر يوم سألتُ شيخنا العلامة ابن عثيمين، وهو مُسجّلٌ في شريط صوتي لدي، ثم بلغني أنه قد انتشر في

بعض المواقع، وذلك في عصر يوم الثلاثين، من شهر رمضان لعام ستة عشر وأربعمائة وألف، في المسجد الحرام في غرفته، التي يستقبل الناس فيها بعد العصر للإفتاء، فسألته عمن يصف الألباني بالإرجاء، فقال –رحمه الله–: ( يكفيه أنه لا نظير له في هذا العصر، ولا نعلم له قولًا يوافق فيه الإرجاء، ولا أنه قال بقول المرجئة)، ثم سألته قلت : يا شيخ: لقد ذكر بعض أهل العلم، أن من صفات الخوارج، كابن بدران وغيره، أن من صفات الخوارج ، وهكذا كان مقدار ما علمت ما نقله ابن بدران في المدخل، في الرسالة (التسجيل يقطّع) يقول الإمام أحمد: (أن من صفات الخوارج أنهم يصفون أهل السنة بالإرجاء), فهل يكون هؤلاء الذين يصفون الألباني، وغيره من العلماء، بالإرجاء، فيهم نفسٌ من الخوارج؟ أو بهم عرقٌ من الخوارج؟

فقال: (لا شكّ، أن الذي يرمي هؤلاء العلماء المعتدلين، بأنهم مرجئة لا شك أنه يشبه الخوارج أو به شبه من الخوارج.)

وعهدي باللقاء قديم, المقصد من هذا؛ أنه –رحمه الله تعالى– محنة لأهل الأهواء، بشتى أصنافهم.

لكن أحب أن ألفت أيضًا النظر إلى بعض العبارات المتقدمة، في كلام بعض الأشياخ الأفاضل، مثلًا نبه الشيخ خالد –حفظه الله– على أن الألباني بدأ بمصادمة أهل الباطل وهو حديث السنّ دون العشرين، فلا يأتي متقمص يتقمص شخصيته، كما أننا لا نرضى أن يأتي متقمص يتقمص شخصية شيخ الإسلام ا ابن تيمية –رحمه الله–، التي كانت مجال الحديث في اللقاء السابق، إن لهؤلاء خصائص، إن لم تكن فيك، فإنك إذا أردت أن تتقمص شخصيتهم؛ فتزعم أنك ترد على أهل الباطل، وإذا بساهمك تطيش إلى نحور أهل السنة, بدلًا من أن تذهب إلى نحور أهل الباطل.

إن من أراد أن يتقمص شخصية هذين الإمامين، لصغر سنه فيقول: إذًا قد كانوا كذلك في حداثة أسنانهم، وهم يردون على الباطل، دون أن ينظر إلى الفوارق الجبليَّة والطَّبعية، والعلمية الموجودة بينهم وبينه، وأيضًا إلى ما كانوا يراعونه، من تقدير المصالح والمفاسد، حفاظًا على الدعوة؛ فإن من يلبس لباسًا ليس على مقياسه، ما يلبث أن يلتف على رجليه فيسقط على أم رأسه.

إن هؤلاء ثيابهم على مقاسهم, وحياتهم، على مواهبهم التي أعطاهم الله –تبارك وتعالى–, ما كان منها فطريًا وما كان منها مكتسبًا, فمن أراد أن يتقمص شخصياتهم، ولما بعد يحصل على ما حصلوا؛ ينظر إلى أنه قد جامعهم في السن، ولكن نسي الفوارق بينهم وبينه، كما بين السماء والأرض، فإن هذا مآله أن

يسقط على أم رأسه, مآله أن يسقط، فلا يسمع أن رجلٌ هذه الكلمات؛ بحداثة أسنانهم، وجهادهم، فيظن نفسه أنه قد وضع رجله على ذاك السلم الذي وضعه الأئمة.

إذن أيها الإخوة الكرام، وتذكير الشيخ خالد لنا بثناء ابن إبراهيم –رحمه الله– يرد على الفرية الحدّادية والصوفية في آنٍ واحد.

وعجبًا والله، يلتقي الحدادية وأهل البدع والأهواء، فيما يشيعونه وينشرونه على الإمام الألباني من التهم, فيزعمون كما زعم الرفاعي في رسالته التي رد عليه الشيخ الفوزان والشيخ العبّاد –وفقهم الله وزادهم علمًا وعملًا– فيزعم أن الألباني أنهى الملك فيصل عقده، وابن إبراهيم، وطردوه لمشاكل ولآرائه, ويردد هذه الفرية حامل رايات الحدادية، في المملكة وأذنابه، عبداللطيف باشميل، ومن تأثر به, وقد ردَّ الشيخ العباد مما قاله في رده على الرفاعي الصوفي، وهو رد على كل حدادي غالٍ، أنه قال : انتهى عقده، كما ينتهي عقد غيره من المعلمين، والمدرسين، فليس في الأمر طرد ولا إبعاد، وليس في الأمر عدم رغبه عن هذا الإمام الكبير.

فأقول: إن حياته مليئة بالكفاح والصبر ،والجلد في تأليفه وفي رسائله، وفي استغلاله لوقته، وفي معرفته للحق، وفي نصرته لأهله، فأسأل الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة.

ثالثًا : جرى ذكرٌ لمكتبة الظاهرية في كلام الشيخين، وكلاهما خالد، عن الظاهرية، وأقول اليوم : ادعوا الله أن يحفظ على المسلمين، مخطوطاتهم في الظاهرية، إننا نخشى والله من هذه الفتن، إن هذه الظاهرية، نسبةً للظاهر بيبرس لمملوكي، واليوم كما تجري العادة، بتسمية المكتبات الضخمة، بأسماء الرؤساء، والملوك، تسمى : (مكتبة الأسد ).

إن هذه الظاهرية تحوي على هذا الكم الظاهر من مخطوطات المسلمين، وإنا نخشى أن تأتي الفتن عليها، كما أتت على مخطوطات بغداد وغيرها، فسرقت، وبيعت، وامتهنت، وقطعت، فنسأل الله أن يحفظ على المسلمين كتبهم، وأن يحفظ على المسلمين مخطوطاتهم، وأن يحفظ على المسلمين –إن صح التعبير– تراثهم العلمي، بجميع هذه الكتب، فإن الفتن كما ترون تأكل الأخضر واليابس.

الجوانب كثيره في حياته، والوقت يبدوا أني قد نفذت دقائقي، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

وخطر في بالي شيءٌ أيضًا، أن الشيخ الألباني كعادة أئمة أهل الحديث المجددين، استطاع أن يجمع بين دعوته للعمل بالسنة وبين احترام الأئمة، فليس من الذين، تحت شعار احترام الأئمة، يتعصبون ويتمذهبون تمذهب المتعصِّب، ويقلدون، ويردون السنة ولا يرفعون هامتهم، ولا همتهم، إلى البحث عنها، وإلى معرفة صحيحها من ضعيفها، اقتداء بما قد قرر في مذاهبهم.

ولا هو بالذي تحت ستار العمل بالسنة، يتهجم على الأئمة، وتحت ستار نبذ التقليد، يهين أهل العلم بالقرآن والسنة، لقد استطاع أن يجمع، وهذا من توفيق الله، وهذه طريقة أهل الحديث، وهذه طريقة أهل السنة، استطاع أن يجمع بين تعظيم السنة، واحترام الأئمة، استطاع أن يجمع بين الرجوع إلى المصدرين الأصليين، الكتاب والسنة، بفهم سلف هذه الأمة، وبين احترام الأئمة والعلماء، قديمهم، وحديثهم، ولاحظنا من التزكيات والثناءات، التي قرأ بعضها أشياخنا –جزاهم الله خيرًا–، أن العلماء يوصون بكتبه، ويحثون عليها، وهكذا هو، يوصي بكتب علماء السنة.

فأحذِّر من دعوة، إلى عدم العناية والقراءة في كتب أهل السنة المعاصرين، فإن هذه ابتدأها محمود الحداد، تحت ستار تعظيم كتب السلف، وتحت ستار تعظيم الكتب المسندة، حتى حذر من القراءة، وجنَّب أصحابه القراءة في كتب أئمة الدعوة النجدية، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

واليوم يخلفه رجلٌ آخر من أذنابه، عندنا في الرياض لا بلاكم الله بدائه، ولا بمرضه، وإذا به يقول لطلابه، ولمن يسمع له من المشوِّشين والمشوَّشين، إياكم وكتب المعاصرين، لستم بحاجة إلى كتب المعاصرين، إذا اعتنيتم بكتب السلف يكفي، ابن تيميه لغته لا تتفق مع لغة السلف، اذ كلما تأخر العصر، وجدتم أن لغة العلم تختلف، عليكم بألفاظ السلف.

وأنت يا مسكين، أنت من القرون الوسطى، جعل الله لك قرنين كقرني الشيطان، تنطح بالبدعة.

أنت من أي عصر أنت؟!، ولما نقبل كلامك؟ ولما نقبل نصحك؟ ومن أنت؟! وفي أي عصر وجدتَّ؟

إذا كنا لا نأخذ من كتب أهل السنه المعاصرين، بل كل كتب أهل السنه يُفاد ويُستفاد منها، فكتب ابن تيميه وكتب أئمة الدعوة، وتلاميذ ابن تيمية، وتلاميذ ابن عبدالوهاب، وكتب أئمتنا المعاصرين كلهم، دون أن أَعُدَّ أسماءً، وعلى رأسِهِم من الحديث حول تجديد واجتهاده اليوم، كتبهم تلتقي وتتفق مع كتب السلف تمامًا، وتشرَحُها تمامًا، وتوضِّحُها تمامًا.

إن أُناسًا يُريدون أن يأخُذوكُم بالمجْمَلات، ويُريدون أن يَفْهَموا آثارَ السلف على فَهْمِهِم، هذه الدعوة في الإعراض عن كتب المتأخِّرين في العقيدة وفي السنة، أُختُها دعوةُ المِلباريَّة للإعراض عن كتب المتأخرين، في المصطَلَحِ والحديثِ والتَّخْريج، تِلْكَ في الحديث حتّى يُقْنِعُك.

طيب أنت أيها المِلِيباري وأذْنابُك، من أفْهَم لألفاظِ أئمة الجرح والتعديل المتَقَدِّمين، أنت أم ابن تيمية وابن القيِّم؟ أنتَ أم أئمة الإسلام؟ أنت يا حاتِم الشريف وأذْنابُك؟، من أَحَقُّ أن يَفْهَمَ كلامَ السلف في العِلَل؟، وكلام السلف في تعريفات المصْطَلَح ومنهَجَهُم؟

أنت أم أئمة الدين على مدار ثمانية قرون؟ وأنت يا فُلان، و يا فلان، و يا فُلان، تِلْكَ الدعوة في بابِ الحديث، وهذه شَقيقَتُها، لكنها شقيقةُ شرٍّ ولُؤم، شقيقةُ فسادٍ وإفساد، أن يُقال: لستُم بِحاجَة إلى كُتُبِ ابن تيمية وتلامذتِه، ولسْتُم بِحاجَة إلى كتب المتأخِّرين، بل لَستُم بحاجة إلى كتب المعاصرين.

هذه وَسْوَسَةٌ من الشيطان؛ فاستَعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، هذه وَسْوَسَةٌ خبيثَة، يُريدون أن يكونوا هُمُ الواسِطَة، بين عِباراتِ السلف في الحديث وفي السنة والمعْتَقَد، وبينَكَ أيها المِسكينُ المتَلَقّي، فَيُزَحْزِحون أئمةً جِبال، جِبالًا من المتأخرين والمعاصرين؛ لِيَحُلّوا بأحجامِهِم القَصيرة، وبِأَرْجُلِهِم الكسيرة مَحَلَّ أولئك الأئمة.

فَكونوا على حَذَر، سَدَّدَ اللهُ الخُطى، وتَقَبَّلَ اللهُ الأعمال، ووفقنا الله وإياكم لما يُحِبُّ ويرضى، وحَفِظَنا في أقوالِنا وأعمالِنا من كل ما لا يُرضيه، نسألُ الله أن يُسَدِّدَ الجميع، وأن يُبارِكَ في جُهودِ الجَميع، والشكرُ بعدَ شُكْرِ اللهِ -تبارَكَ وتعالى- لإخواني القائمين على هذا اللقاء، والشيخ الفاضل: الشيخ أبي عُثمان: محمد بن عثمان العنجري - وفَّقَهُ الله -، وبارك في جُهودِه، وأعظم الله له الأجر والمثوبة، والشكر لِجميعِ الإخوة الحاضِرين والمسْتَمِعين، وصلاةُ اللهِ وسلامُهُ ورَحمَتُهُ وبَرَكاتُه على عبدِهِ المصْطَفى، وخَليلِهِ المجْتَبى، وعلى آلِه وأصحابِه، وعلى أهلِ العِلم وَرَثَتِهِ إلى يومِ الدين، واللهُ تعالى أعلم.

الشيخ (لم يُذكر اسمه):

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين، أمّا بَعد:

فالحَقيقة – أيها الإخوة في الله – إني لَمْ أُعِدُّ لذلِك كلمةً إنما أنا زائرٌ مِثْلُكُم، ولكن الشيخ – جزاهُ الله خير – أصرَّ وحَلَفَ على ذلِك، أن أتَكَلَّمَ ولو بِكَلِمَةٍ يَسيرة، وليس لي بَعدَ هذا الكلام الذي قالَهُ المشايِخ – حَفِظَهُم الله – زِيادَة، بل لا زِيادَةَ عليه، إلاّ أن الألبانيَّ – رحمه الله – يَسَعُ أكثَر من ذلِك، فهذا العالِمُ الجليل يَسَعُ أكثَر مِمّا ذُكِرَ فيه، وما ذُكِرَ فيه إنَّما هُوَ إشارات إلى ما عِندَهُ من العلم، ومن الصَّدْعِ بالحَقّ، ومن الثباتِ عليه، ومن مُخالَفَةِ أكثَرِ أهلِ الأرض لِما كانَ عليه في بيئَتِه، وفي العِلم الذي يدعو إليه، وفي السنة التي خالَفَ بِها كُلَّ مَن حولَه، أو جُلَّهُم.

فَهذِهِ السُّنة، صاحبُها في هذه الدنيا خُصومُهُ كُثُر، وأتباعُهُ وموافقوه قلَّة، وهذه عادة الله – عزَّ وجل – في كُلِّ صاحب حقٍ أنزلَهُ الله على نبيِّه، ودعا إليه أهلُ السُنةِ الأئمة في كُلِّ زمان ومكان، أن تكثُر خُصومُهم، ويقِلُّ موافقوهم، فهم في صبرٍ وفي محنة وفي بلاءٍ دائم.

والذي نتكلم عنهُ رأسٌ في هذا الباب، مما ذُكِر من سيرته، ومن صبره، ومن المشقَّة التي عاشها طول حياته، طول حياته منذ أن كان صغيرًا دون العاشرة، إلى أن مات – رحمه الله – وهو في صبرٍ، ومصابرة، ومحاربة من جميع أهل البدع، هذا هو حال صاحب الحق، كل ما ذكرهُ المشايخ، من وصفهِ، في علمهِ، وفي دينِه، وفي صبرهِ، ينبغي لنا والله، بل يجب علينا، أن نستفيد من ذلك، فنتصبَّر ويُصبِّر بعضُنا بعضًا، على الحقَّ الذي قلَّ سالكوه، وكثُر مُحاربوه، وأخذوا بذلك المواقع التي يشتهرون بها بين الناس، وأهلُ الحق قِلَّة في العادة، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (( أنّهم فِرقة ))، كما ذكر الشيخ أبو محمد فواز – حفظهُ الله – فِرقة واحدة بين ثلاثٍ وسبعين فِرقة، كُلُّ هذه الفرق تحارب هذه الفرق مُجتمِعةً، ولو كانت متحاربة، فإنَّها مجتمعة على حربها أهل الحقِّ.

هذا الإمام قُدوة لنا، وقبلهُ أُسُوات وقُدُوات إلى أن نصل إلى قُدوتنا وأُسوتنا، رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذا هو طريق أهل الحق، الصبر، هذا هو طريق أهل السُّنة، العلم، ليس بابًا آخر يُقرِّب إلى الله خيرٌ من العلم، والعمل بهذا العلم.

الإمام الألباني – رحمه الله – كان عالِمًا عاملاً بما عمل، كانَ عالِمًا يعمل بما عَلِم، يدعو الناس إلى هذا العلم الذي عمِل بهِ مُسْبقًا، في صغائر الأمور في جلساته، وفي أسئلته، وفي نقاشاته، لا يُفوِّتُ شاردةً ولا واردةً إلا ويُعلِّقُ عليها، وينصح الفاعل إن كان تاركًا لها بالفعل، وإن كان فاعلاً لغير السُّنة، بأن يترك ما هو

عليه إلى السُّنة، ولو كان أمرًا يسيرًا لا يغُضُّ الطَّرف عنه، ولا يسكت عن الأمر بالمعروف، وعن النّهي عن المنكر، وعن تعليم الجاهل، وعن تأييد صاحب الحق، وتشجيعه على العلم النَّافع، والسُّنة والعمل بها.

هذا هو أهل السنة، كلهم ولو سردتم الأئمة بعد الألباني، كابن باز يكونون على مشكاةٍ واحدة، وابن تيمية ومن قبله، فكلُّهم على هذه الطَّريقة، طريقة أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم –.

فنحن إذا سمعنا مثل هذا الكلام، لابد أن نقتدي، ولابد أن نستفيد من هذا الأمر، فلا نكون مُتقمِّصين لأشخاصهم، كما ذكر الشيخ أبو العباس – حفظهُ الله – بل نكون مُتتبِّعين لما كانوا عليه، نرجو وكُلٌّ حسب ما آتاه الله، من جِبِلَّةٍ ومن قوة حفظٍ، ومن غير ذلك، فإن لم يكن في سبيل العلم، فليكن في سبيل العمل، أن يعمل بما علموا، وأن يجتهد ويقتدي بهم، كما قال الله – عزَّ وجل – : { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[ الأحزاب :21]،

نحن أُسوتُنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، هؤلاء العلماء الأجلاء، ما نذكرهُ فيهم، إلا لأنهم ينقلون لنا سنة رسول الله– صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم– ولولا هذا الأمر، ما بلغوا هذه المنزلة العالية، والكرامة، والقدر العظيم في قلوب أهل السُّنة؛ لأنَّهم أعلوا سُنَّة النبي – صلى الله عليه وسلم – فأصابهم نصيبٌ من قول الله – عز وجل – :{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}[ الشرح: 4].

رفع الله – عز وجل – ذكر هذا النبي – صلى الله عليه وسلم – وكل من يرفع هذا الذكر لله – عزَّ وجل – فإنَّ لهُ نصيبٌ من هذه الرفعة، وهذه الكرامة.

أبى الله – عزَّ وجل – إلا أن يرفع الألباني، رغم الحرب التي أُقيمت عليه، من كل جانبٍ وصوب، من كل جانبٍ وصوب يُحارب، لكن الله – عزَّ وجل – مع عبادهِ الصَّالحين، فرفَعَهُ، نحن نقتدي بهذه الكلمات، نسمعها وتطير القلوب بهذا الأمر العظيم، أن نكون عُشر معشار هؤلاء العلماء، لكن بعد هذه المجالس، ترجع القلوب إلى ما كانت إليه، من الكسل ومن الركود إلى الدنيا، ومن التَّراخي في العمل ومن التَّراخي في طلب العلم، هذا الذي نريد أن نُجدِّد به أنفسنا، بهذه المجالس، ذكرُ العلماء وما عانوا به وما صبروا عليه من العلم، هذا قدوة لنا نبراس، ومنار نُشعِل به ونُنير به طريق العلم لأنفسنا، نقتدي بهم، لنأتسي بهم، ثمَّ لعلَّ الله – عز وجل – أن يقبل منا شيئًا، ولو يسيرًا في طلب هذا الأمر العظيم، وهو علم سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

هذه كانت الحقيقة، كلمات تجول في خاطري والمشايخ يتكلمون، وأنا أريد أن أستفيد من علمهم، ومن كلامهم، فلما طلب منا الشيخ – حفظه الله – فقلتُ أذكر ما كان في ذهني، من هذه المحاضرة، التي تقدَّم بها الأشياخ – حفظهم الله – وما نجدهُ من هذا العالم الجليل، محمد ناصر الدين الألباني، الذي يطعن بنا بعض النَّاس بأننا ألبانيون!!.

يقولُ بعضُ الناس، لماذا أنتم ألبانيون؟

وقد قالَها لي اليوم رجُل بعدَ صلاة الجمعة، يقول لماذا أنتم ألبانيون؟! هكذا!

فقلتُ والله ما نحنُ بألبانيين، ولسنا مُتَعصبينَ لهذا الرجل ولا لغيرِهِ من علماءِ الإسلام، لكنَّ ما هو دينُ الإسلام ؟

فقالَ القُرآنُ والسُنة، قُلتُ القرآن كتابُ الله تَعَهَدَ اللهُ بحفظهِ :{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر 9 ]

والشق الثاني من التشريع السُنة حديثُ رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، كلما كانَ الإنسانُ أعرَفُ بحديثِ رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، كلما كانَ أقوى حُجة عند اللهِ- عزَّ وجلّ-.

والألبانيُّ كغيرِهِ من العلماء، أعرفُ الناس بشهادةِ أهل العلِم، كالشيخ ابنِ باز وغيرِهِ في زماننا، أعرفُ الناس بحديثِ رسول الله- صلى الله عليه وسلم-،هذا الرجل (محمد ناصر الدين الألباني)، فإذا أردنا أن نأخُذَ العلِم بحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فنأتي بهذا إلى الخبيرِ به، ونسأل أخبَر الناس بهذا العلم.

فوجدنا هذا الرجُل أعلم الناس بهذا العلم، فحُقَّ لنا ولغيرنا أن يستشهِدَ بقوله، وأن يرجع إلى تصحيحه وتضعيفِهِ، في جُلِ علم الدين والسُنة، ولا نُلامُ على ذلك، فقالَ بعد ذلك قولًا، ثُمَّ رضيَ بهذا القول وأنَّ من يُكثِرُ الاستشهاد بالألباني، فإنَّ ليس ذلك من التعصب في شيء، ولا يعني ذلك أنهُ ألبانيٌّ، من حيثُ التعصب إلى الشيخ الألباني- رحمهُ الله- .

فنحنُ نقول كما يقول أهل العلم: أهلُ الحديث هُم أهلُ الحَقّ، وهم أَعرفُ الناسِ بالحَقّ، وهم أرحمُ الناسِ بالخَلق، وهم الذين على الصراطِ المستقيم، فإن لم يكونوا هُم الفِرقة الناجية، فلا ندري من الفرقةُ الناجية إذًا.

وهذا الرجل رأسٌ وجبلٌ، من جبالِ أهل الحديث في هذا الزمان.

وفقنا الله- عزَّ وجلّ- ورحمنا الله- سبحانهُ وتعالى- أن جعلَ قلوبنا تُفتَحُ وتقبلُ ما عندَ هؤلاء من أهلِ الحديث من العلم، هذه نعمة اختصّكَ اللهُ بها يا صاحِبَ السُنة، أن تقبّلَ كلامَ الألبانيّ مُنشَرِحَ الصدر، وتقبلَ كلامَ ابن تيميةَ مُنشَرِحَ الصدر، وتقبَلَ كلام ابن حنبل، وغيرهُ من أهل العلم والسُنة، وأنتَ مُنشرح الصدر، فكثيرٌ من الناس تضيقُ صدورهم وقلوبهم بكلامِ هؤلاء الأئمة، بل يتمنونَ زوال كلامهم من كُتُبِ الإسلامِ والسُنة، و يحقدونَ عليهم وعلى أتباعهم، ولا يُريدونَ الظهور لهذه السُنة وأهلها.

فمن أنتَ من هؤلاء إن كُنتَ منَّ الله- عزَّ وجلّ- عليكَ بهذا دونَ غيرك، فهذه الكلمات النيرات التي ذكرها المشايخُ –حفظهم الله ورحمنا وإياهم -إنما هي نقتبسُ بها ونأتسي بها، كما ذكرتُ لكم، أن نجعل من أنفُسِنا فائدةً بالنظر إلى ما لقيهُ العلماء في تحصيلِ هذا العِلم.

ولستُ واللهِ أُريد لنفسي ولا لكم أن نكونَ مثلَهُم، ولكن الأُسوة تجعل الإنسان ينظر إلى نفسهِ بالتقصير، وبالصِغَر، وعدم العُجبِ بالنفس، وإن كانَ عندهُ شيءٌ من العِلم، فالمقارنةُ بمن هو فوقهُ، يزيدُ في عزيمته، ويزيدُ في عدمِ إعجابهِ بنفسِهِ، ويزيدُ في همتهِ إن كان يُريدُ العلمَ والسُنةَ.

أسألُ الله العلي الأعلى، أن يجعلني وإياكم، ممن يستمعون إلى القول فيتبعون أحسنه، أولئِكَ الذين هداهم الله وأولئكَ هم أولوا الألباب، وأسألُ اللهَ- عزَّ وجلّ- أن يرحمني وإياكُم، وأن يجزيَّ خيرًا من أقامَ هذه اللقاءات الطيبة، ومن تَكَلَم فيها، وأن يغفر لي ولكم إنهُ وليُّ ذلك والقادِرُ عليه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابِهِ أجمعين.